السلك السياسى

للأستاذ راشد رستم

(أنشر هذا الحوار تسجيلا لصورة عن جانب من جوانب التفكير فى المجتمع الحديث)
الكاتب

أ — ما هذا الحذاء ؟

ب — ماذا ... ألا يعجبك ؟ إنه من الصنف الغالى ، دفعت ثمناً له خمسة جنيهات ...

— لا . لا أقصد ذلك

— ماذا تقصد ؟

— أقصد لماذا اخترته من هذا الشكل ذى الرقبة ؟

— ولِمَ لا !

— إنها « مُودة » قديمة

— ولماذا إذن يعرضونها الآن للبيع ؟

— ليشتريها أهل « المُودة » القديمة ... ثم ...

— ثم ماذا ؟

— ثم ليشتريها أولئك الذين يلبسون الجوارب التى من الصنف الرخيص ...

— وما دخل هذا فى ذاك ؟

— كيف ! ألا تدرى ؟ أتقول حقاً ؟

— نعم . لا أدرى . لأنى ألبس أجود أنواع الجوارب

— ولكن ألا تدرى أن رقبة الحذاء تحجب الجوارب عن الأنظار ...

— وماذا فى ذلك !

— لا يا أستاذ . لا بد أن تكون جواربك ظاهرة يراها كل من يجالسك . ولا يتم ذلك إلا بلبس حذاء لا رقبة له ...

— أو ترك الحذاء بالمرة ...

— لا تهزأ ... فهذه ملاحظة فى محلها ...

— حينئذ إذا كانت هذه القاعدة لها خُطورتها فأرجو أن تدلنى على طريقة لإظهار جميع ملابسى الداخلية ، فإنها فى الواقع من أجود الأصناف ...

أ — هذا له ظرفه الخاص ، ويلوح لى أنك تقتنيها من أجود الأصناف لهذا الظرف الخاص ... ومع ذلك فإن ظروف الإظهار تختلف باختلاف المواقف . ولا أظن أنك تجهل ذلك يا سيد العارفين ...

ب — إن هذه الملاحظات جديدة فى نظرى ، برغم أنى نشأت على أن أعرف مواضع الأشياء ، ولكن أنت أعلم منى فى ذلك لأن سلككم يقضى عليكم بمعرفة أشياء كثيرة لا يعرفها الكثيرون الآخرون كما ظهر لى الآن ...

— هذا حقيق ، ولكنه لا يمنع أن يعرف غير رجال السلك كيف يلبسون وكيف يظهرون وكيف يتظاهرون ... ، وها أنت ذا واحد من هؤلاء الراسخين فى اللبس ...

— أشكرك . ولكن رجال السلك بدون شك هم النموذج الذى يحتذى فى كل المناسبات وكل البلاد

— بهذه المناسبة أتعرف ما هى أحسن طريقة لإظهار القميص الأفرنكى إذا كان من أجود الأصناف ؟

— لا ...

— هى أن تلعب البلياردو ...

— البلياردو ... ! وماهى الصلة بين القميص والبلياردو ...؟

— ... تدخل صالة اللعب ، وهى عادة كبيرة وفيها ناس كثيرون ، وتأخذ فى الاستعداد للعب مع زملائك ، وتتظاهر بعدم تحملك حرارة الصالة وحرارة الحركة ، فتخلع الجاكتة فيظهر القميص فيراه الجميع ...

— عظيم . والجهل باللعب ؟ !

— أمر ثانوى . غير مهم . وكذلك المكسب أو الخسارة . وكذلك « النشومية » غير مهمة لأن الأغلبية لا تعطى بالا لهذه الاعتبارات ... حتى أنك إذا أتلفت جوخ الخوان ، وهو كما تعلم ثمين جداً ، ... كل ذلك يهون فى سبيل إظهار القميص ...

— أمازح أنت أم جاد ، أم أنك تهزأ بمن ليس من سلككم ؟!

— حاشا لى أن أقول غير ما أقصد

— أو تقصد غير ما تقول ...

— وما الفرق ؟

ب — فرق بسيط . غير مهم . هذه كلمة خاطفة ، لا تعطها بالا . كمّل . كمّل ...

أ — نعم خذ أنت بالك ودعك من التلاعب بالمعانى وبالألفاظ . فهذا زمانه مضى . وأما الوقت الحاضر فيدعو إلى الكشف والوضوح . والذى أريد أن أقرره من كل الذى جرنا إليه الحديث الآن هو أن المظهرية ، نعم المظهرية ، مسألة هامة جداً

* * *

ب — هذا واضح جداً جداً . ولكن هل معنى ذلك أنك تفضل المظهرية على الحقيقة ؟

— إسمع يا صديقى . إن الحقيقة تعرف شأنها ، وهى موجودة . ولكن المظهرية لا بد لها ممن يخدمها ويعمل لها وفى سبيلها ، وإلا ضعت يا أستاذ بين الحقيقة والناس . . .

— ولكن ألا ترى أنه خير للعاقل أن يفنى فى سبيل الحقيقة من أنه يعيش فى رداء المظهرية !

— إسمع كلامى واعمل بفلسفتى ، مع العلم بأنها فلسفة شاملة للجميع . دع أفلاطون الذى كان يبحث عن الحقيقة . ثم دع الحقيقة كذلك آمنة فى خدرها . إنها إن أرادت الظهور فهى ظاهرة ظاهرة ...

— وأما المظهرية فهى لا شك فى حاجة إلى من يعمل لها أمثالكم ... أليس كذلك ؟

— هو كذلك لا شك ...

— ولكن خبرنى . أليست الحقيقة أولى بهذا المجهود !

— قلت لك إن الحقيقة قوية بذاتها وهى ليست فى حاجة إلى أمثالنا

— أو أن أمثالكم ليسوا فى حاجة إليها !

— هذا وهذا ...

— وخبرنى كذلك ، هل يوجد كثير من أمثالك على هذا الرأى ؟

— الدنيا كلها ...

— أقصد فى سلككم الخاص ...

— الجميع يا أخى . هذا أمر مفروغ منه

— ولكن هل يتعلم الشخص فلسفة المظهرية بعد أن يلتحق بالسلك ، أم هو لا يقبل ضمن السلك إلا إذا كان يعلمها من قبل ؟

— هذا سؤال طيب . نعم الأوفق أن يكون الشخص عالماً بفلسفة المظهرية مستعداً لها قبل أن يدخل السلك ، على أن السلك يعلمه بعد ذلك الدقة فيها وحسن التصرف وحسن السبك ...

— أفادك الله ... إذن سأفكر فيما يصلح لى ...

— أتريد أن تلتحق بالسلك ؟

— لا . لا . أبداً أبداً . إنما أريد أن أفكر فى شأنى وشأن أمثالى وشأن هذه الأفكار ...

* * *

أ — وإلى أن تفكر وتهتدى إلى حل أنظر إلى حذائى وخبرنى عن نوع جلده

— هو جلد ثعبان

— براڤو ! وجلد هذه الحقيبة ؟

— جلد ثعبان كذلك

— براڤو !

— ولكنى لا أدرى إن كان جلد الحقيبة وجلد الحذاء هو من الثعبان ذاته

— هذا لا يهم

— ولكن بالله اشهد . أليست هذه ملاحظة تدل على الدقة وحسن السبك ؟

— أتريد أن تقول إنك تصلح للسلك ؟ وهل فى هذا شك ياصديقى ؟

— ولكن اسمح لى ...

— ماذا ؟

— ملاحظة أخرى وإن كانت ، على ما أظن ، لا تجعلنى صالحاً للسلك . وعلى الأقل فى نظرك أنت

— قل . قل . ما هى ؟

— هل تظن أن من العقل أو من الذوق أو من كليهما معاً ومعهما غيرهما . . . أن يلبس الرجل حذاء من جلد ثعبان ، فى حين أن أحق الناس بذلك هو الجنس اللطيف ؟

وما المانع يا أخى !

— والله إذا كانت المسألة مسألة مانع ، فإن الموانع كثيرة . هذا إن أردت الحقيقة . ولكن لا . لا . لا تؤاخذني فإن الحقيقة في خدرها ...

— أنا لا أرى مانعاً ما دمت تملك المال الذي تشترى به جلد ثعبان وتصنع منه الحذاء وحقيبة السفر وحقيبة الورق وحقيبة الجيب الخ ...

— وهل المسألة مسألة فلوس ؟ وليس للاعتبارات الأخرى أي تقدير ؟!

— أي اعتبارات أخرى ! مع العلم بأن جلد الثعبان ثمين جداً وهو « مودة » حديثة جداً

— لا أقصد كل هذا

— إذن أنت تقول ما لا تقصد ... أو تقصد ما لا تقول .

— دعنا من هذا المزاح السياسي ... ولنترك مسألة الجلد وخبرني عن نوع الجورب الذي تلبسه ....

— من الحرير . ثم انظر إليه وإلى رباط الرقبة وإلى المنديل والقميص

— شيء جميل جداً . كلها من نوع واحد . وهكذا تكون ملابسك مكونة من مجموعات

— حقاً . إنني أميل إلى هذا الشكل من الملابس

— ولكن هذا يتطلب تعباً وتفكيراً ومجهوداً ووقتاً ونقوداً . فهل عملك يسمح بذلك !

— من غير شك . مع العلم بأن كل هذا هين في سبيل ...

— المظهرية ...

— برافوا !.. وهذه هي الحقيقة ...

— نعم . لقد ظهرت من خدرها ...

— ألم أقل لك إنها قوية لا تحتاج إلى أحد

— نعم نعم . ولكن قل لي ، لماذا أنت تلبس كل هذا اللبس العالي الفخم مع أنك على سفر ؟

* * *

كان هذا الحديث في القطار بين بور سعيد والقاهرة . وكان أن الصديقين التقيا في محطة بور سعيد . وكانت مصادفة أخوية نادرة إذ يلتقيان على هذه الحال بعد غياب أحدهما في الخارج غياباً طويلاً . لذلك أسرعا فاتخذا مكانهما في القطار معاً ، ثم كان ذلك الحديث الطريف ... على أن الصديق (ب) لحظ على صديقه (أ) شيئاً من القلق وعدم الاستقرار ، فسأله الخبر فكان « يتظاهر » أيضاً بأن ذلك من متاعب السفر ... ومع ذلك قام يمشي في دهليز العربة يفحص الجالسين كمن يبحث عن شخص بالذات . ولما عاد إلى مجلسه من طوافه سأله صديقه عمن يبحث ؟

أ — عن صديق كان معي بالباخرة وسمعته يقول إنه سيسافر في هذا القطار

ب — وهل وجدته ؟

— للأسف لا ...

— ربما تخلف

— ولكن كان يهمني جداً أن يكون موجوداً في هذا القطار

— هل لي أن أسأل عن سبب اهتمامك به !

— نعم بكل سرور . اسأل ...

— لقد سألت ...

— آه ... نعم ... بالطبع يكون حسناً لو كان معنا ...

— وإذا لم يكن معنا فهل في هذا ضرر عليك ؟

— لا . ولكن كنت أود أن يكون معنا

— هل أعرفه ؟

— لا ...

* * *

ثم جملا ينتقلان من حديث إلى حديث إلى أن بلغ القطار محطة الإسماعيلية . ولما تحرك لمواصلة السفر قام الصديق (أ) من مكانه مذعوراً

أ — ها هي ... ها هي ... يالله الخسارة !..

— ما بالك يا أخي ؟ من هي ؟ وما هذه الحركات ؟ اجلس اجلس

أ — يا للخسارة ! ولكن لا تزال الفرصة موجودة . بل لقد سنحت الفرصة

— ما هي الحكاية ؟ خير ! خير إن شاء الله

— الحكاية طويلة . وهناك في الإسماعيلية إن شاء الله ستكون نقطة التحول في الوقعة ...